

## فارس العرب !

لو يسكر الدهر من ذكراكِ يا حلبُ  
هذا دوئيكِ والدنيا تردده  
لكان للدهر منكِ الخمرُ والعنبُ  
ما كان أمسكِ إلا أمس ملحمة  
تكاد تهتزُّ من أهواله الحقب  
لولا الليالي التي كابدتِ ظلمتها  
غنى بها السيفُ والأقلامُ والكتب  
ما كان للعرب بين الروم مضطرب  
فلو سألت دروب الروم عن بلدِ  
ذلت به الروم قالت: حسبكم حلب!  
أعدتِ ذكرى بني حمدان وارقة  
ذكراهم الجودُ والعلياء والأدب  
كانوا الملوك وتاج الملك فوقهم  
تزهى به الأرضُ والأفلاك والشهب  
حصنُ العروبة لم يهدم عروبتهم  
نومٌ على الضيم والدارات تُفتصب

ما كان إلا سروج الخيل مركبهم  
ردوا البطاريق عن أظلال ملكة  
لنصرة العرب ما جرثوا وما ركبوا  
يفنى على ظلها فتياها النجب  
تروى من الأحمر القاني منابتها  
وينضر العود بالأشلاء والعشب

\* \* \*

إذا نسبت في الفتيان فارسهم  
زين الشباب ولم تملأ شبيته  
أبا فراس حسبته المجد ينتسب  
الأم المعالي والأخيل والخبب  
ضرب السيوف ورايات يليح بها  
لم يرو من عمر هدت نضارته  
فلم يمتنع من الأيام متعه  
ما منزل اللهو واللذات منزله  
فأين منه ظهور الخيل سابعة  
إن راح يوم ولم ترسب صوارمه  
في ملك قيصر: هذا هم والأرب  
مضارب السيف والنيران واللب  
ولا تملئ شباباً كله تعب  
وانما لهوه الهيجاء والجلب  
وأين منه ضجيج الحرب والصخب  
في أرواس الروم ضاع اليوم والرّسب

\* \* \*

يا فارس العرب كم غادرت من أثر  
زحفت بالجيش والرايات خافقة  
على مدارجه الفرسان تنسحب  
لم يحم قيصر منها جيشه اللجب  
غياهب الليل حتى ماتت الرّحب  
بك السيوف ونالت وجهك الشطب  
لو كنت للموت هيأاً لما ظفرت

هذي الجراح على الخدين شاهدة  
مافي الجراح على الهيحاء من عجب  
لم تخلق الحرب إلا للسيوف فما  
أن الرجال إذا ما استغضبوا غضبوا  
نجاة فرسانها منها هي العجب  
يليق بالحرب إلا الفارس الدرب!

\* \* \*

يابن الملوك! وكم أذلت من ملك  
نزعت عنه وشاح الملك فانخسفت  
إن دلّ لون على خوف تكتفه  
أثقت اليك شيوخ العرب طاعتها  
فما نزا شاعب منهم على جبل  
إذا تولّى فذلّ الخوف لاحقه  
خلّ المفاخر والألقاب ناحية  
لم يحمه في الفيافي معقل أشب  
به القفار وماج اليمّ والعَبَب  
دلّ الشحوب فبان الخوف والرهب  
لما ألح على أشياخها الرعب  
الأبطشت به حتى انقضى الشغب  
وان تدلّو ثناه الشك والريب  
فما يحيط بما أعليته لقب!

\* \* \*

يوماً أميراً ويوماً في سلاسله  
بصبح في كل يوم فوق مضجعه  
أما ترقّ قلوب كنت حارسها  
ألا فداء وسيف الدولة امتلات  
لقد تملّت قلوب الناس عطفته  
يطوي الليالي والأشجان تضطرب  
ألا فؤاد على أقيادنا حذب  
والملك معتلج الآفاق منتهب  
منه الخزائن والأعلاق والذهب  
وعطفه دون هذا القلب محتجب

اذا عتبتُ فلم أعتب لمبخله  
 اني أضنُّ بتاج أن أراحمه  
 لكن طربتُ إلى نارٍ أسعرها  
 فكل همٍ على الأحشاء منبسط  
 تلقى العيونُ على الأعياد فرحتها  
 يمرُّ بالعيد والأغلال حطته  
 فالعين خلف خضم الروم موحشة

\* \* \*

أين الديار وأين الشام لذته  
 خياله في ربوع الشام منسرح  
 فما ثنته قصورُ الروم عن وطنٍ  
 اذا سجا الليلُ لم يحام بغيرهم  
 فكم الى حلبٍ حنتُ خواطره  
 فإن تذكُر بين الروم ذلته  
 فهزُّ رأساً على الجوزاء قمته  
 لولا العجوز ولولا صية سرحوا  
 نأتُ به الدار والبطحاء والكتب  
 وطرفه في ديار الروم منقلب  
 على مشارفه الأهلون والصحب  
 وفي الضحياً هم الأحلام والرغب  
 وكم الى منبج أسرى به الحدب  
 نفى المذلة عزَّ الملك والحسب  
 وكاد يأكل من أضلاعه الغضب  
 مثل الفراخ على أطرافها الزغب

لما تطامن من عليائه كنف      ولا تقطع من أسبابه سبب  
سحاب صيفٍ وبعد الأسر معتركٌ      تشقى به الروم أو يروى به الترب

\* \* \*

يا حسرةً من وراء اليمِّ تحملها      يظلُّ قلبك من لأوائها يحب  
لو يفصح الشعر عن دمع تكتمه      لكان من شعرك الريان مُنتحب  
عليلةٌ في ظلال الشام والهبة      هذا معلماً في القيد منتشب  
يضني جوانحها جرح يؤججه      شوق اليك على جنح الدجى يشب  
فجرحها في يياض الصبح ملتهب      ودمعها في سواد الليل منسكب  
إذا اطمأنت إلى الأحداث مهجتها      ثارت بها ذكرك كالموج تصطخب  
تهفو إلى الركب ان عجت مواكبهم      وتسال الركب ما جاؤا وما ذهبوا  
هل الأمير ريب الملك مائجة      به الشجون فلا هو ولا لعب  
وهل أليف العوالي في سلاسله      مشتت الفكر من أغلاله كئب  
والله ما هدأت عيني ولا انقطعت      دموعها وحبب القلب مغترب

\* \* \*

ما أقسى قلبك في الهجاء ترسله      خلف العدو فما ينجو به الهرب  
وما أرق فؤاداً ان ذكرت له      أمّا على صدرها الأشجان تلتب  
تظلُّ صورتها في الأسر مائلةً      لقلبك الغضّ تدنيها فتقرب

فيها الصفاء ، صفاء الدين مؤتلق  
لو تجمع الأرض في الدنيا وزينتها  
فلا سوادة في التقوى ولا كذب  
لفاقت الأرض أم في الورى وأب

\* \* \*

ويح البطولة ما كانت عواقبها  
لما رأى جنات الملك خالية  
هل العواقب الأ القتلى والعطب  
ما كاد يطلبها والعين طامحة  
حلا له التاج والرايات والغلب  
مشت إليه سيوف الترك غادرة  
حتى تفلت منه الملك والطلب  
نجا من الروم والأسياف تضربه  
لله ما صرعوا منه وما شطبوا  
وما نجا من سيوف الترك ما ضربوا  
وانما العرب في آثاره نكبوا  
واليوم لا حاجب يحمي ولا حجب  
من بعد أن ملأوا الدنيا بما غلبوا  
لفاضت الأرض مما سحت السحب  
لو يعرب الدمع عن مأساة فارسهم

\* \* \*

سل الديار ، ديار العرب كم نكبت  
إن تنطق الأرض عن قتلى شبيبتهم  
في كل يوم شقايات ومُنكب  
لم تُسَق منهم سيوف الروم مأسقت  
أبكاء من درجوا فيها ومن سربوا  
شقاقتهم في ضحى التاريخ مثلبة  
منهم أسنتهم والبيض والقضب  
وعهدهم في دجى تاريخهم ثلب

فما تَأَلَّفَ بعد الفتح شملهمُ  
 يينا يُغذُّ بنو حمدان سيَرهم  
 أماميم وثبات الروم تشغلهم  
 نولا شباب بسيف الدوة اختصموا  
 فللمهالك ما سلّوا صوارمهم  
 فهل تعيد لنا الأيام دولتهم  
 حتى تبعثت الأهواء فانشعبوا  
 للروم إذ نجد الأعراب تنقلب  
 وخنفسم وثبات البدو والسلب  
 لراع قلبك حوض في الحمى خرب  
 وللمكارم ما أعطوا وما وهبوا  
 والشرق مبتهج والغرب مكتئب

\* \* \*

أبا فراس! وما قلت الذي اختمرت  
 تظلّ ذكراك بين العرب خالدة  
 به القوافي وبعض القول مقتضب  
 ما دار دهرٌ وما دارت به العرب

شفيق جبري